اَلتِّبْيَانُ

مجلة علمية محكمة – نصف سنوية– تصدر عن قسم الدراسات الإسلامية
بكلية الآداب جامعة طرابلس

16

السنة (16)
العدد (16)
ديسمبر 2023م

محفوظة جميع الحقوق

لقسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب

جامعة طرابلس ليبيا

رقم الإيداع : 304 – 2014

رقم التصنيف الدولي **(Issn)** : 9185 – 2410

توجه كافة المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير على البريد الإلكتروني الآتي :

altibyan.jour@uot.edu.ly

ضوابط النشر

ترحب المجلة بإسهامات الأساتذة والمفكّرين والكُتاب الذين يسعون لنشر العلم والمعرفة بين أبناء الأمة الإسلامية ، تلك المعرفة التي تؤسس عقيدة ، وتصحح مفهومًا ، وتنشر فكرًا إسلاميًا ، بعيدّة عن التعصّب والغلوّ في الدين . ويشترط لقبول البحوث والمقالات :

- أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعية ، وأن يتبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي ، من تسلسل منطقي في العرض ، وتوثيق للمصادر والمراجع .
- مراعاة القواعد النحوية والإملائية في الكتابة.
- ألا يكون البحث المراد نشره في مطبوعة أخرى .
- أن يكون البحث مطبوعًا ، بحيث يكون حجم الخط (16) ، ويسحب منه نسختين على الورق ، والثالثة على قرص مضغوط (CD) .
- ألا يقل عدد ورقات البحث عن (15) ولا يزيد عن (25).

أهداف المجلـــــــــة :

- نشر الثقافة الإسلامية والعربية وتنمية المدارك .
- طرح القضايا والإشكالات الدينية المعاصرة ومعالجتها وفق أسلوب علميّ رصين.
- الاهتمام بالتراث الإسلامي.
- نشر الدراسات العربية المتخصصة في مجال اللغة والأدب العربي .
- تجديد الوعي الإسلامي ، وتنمية الروح الديني النزَّيه.
- تشجيع الأستاذ الجامعي ، وتحفيزه على الإسهام في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة ، من خلال الأبحاث والإسهامات الكتابية المتخصصة.

ملاحظـــات:

- تعرض الأعمال المقدمة للنشر على أساتذة متخصصين ، لتقييم صلاحيتها للنشر.
- البحوث المقبولة للنشر يُمنح صاحبها إفادة بذلك.
- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المُجازة.
- اللجنة المشرفة على المجلة غير ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر.
- الأبحاث والمقالات المنشورة تعبّر عن وجهة نظر صاحبها ، ويتحمل كافة تبعاتها القانونية والأدبية ، وهيئة التحرير ترحب بمناقشة هذه الآراء وإثرائها.

هيئة التحرير

أ. د. الهـــادي المبـــــروك سالـــــم	رئيسًا
أ.د. عبد الله محمـــــــد النقـــــراط	عضوًا
د. عبد الله علـــــــي شعبـــــــان	عضوًا
د. عبد الغني عبد اللطيف بن سعيدان	عضوًا
د. عبد المحسن سالـــــــم الكاتـــــب	عضوًا

الهيئة الاستشارية

أ.د.عبد الحميد عبد المنعم مذكور.... جامعة القاهرة

أ.د. حسين أحمد المنتصر .... جامعة طرابلـــس

أ.د. إبراهيـــم عبد الله سلطـــان .... جامعة المرقـب

أ.د. رمضان حسين الشاوش... جامعة طرابلـس

أ.د.علـــي سليمـــــان الزوبـــي .... جامعة طرابلس

أ.د. عثمان الطاهر حبلوص ... جامعة الزاويـة

أ.د. حسين علي عكاش جامعة مصراته

تنفيذ وإخراج

سامية جمعة أحمادي

قائمة المحتويات

- الافتتاحية ..... رئيس التحرير 9
- المقاصد الشرعية عند الشيخ الطاهر الزاوي
من خلال بعض فتاويه ..... د. محمد عبد الله الحارس 11
- الشفعة وأحكامها (دراسة فقهية مقارنة) .....د. طاهر علي محمد الشاوش 33
- بيع المرابحة للآمر بالشراء
والخطوات العملية لتنفيذها ..... أ.منير سلامة زايد محمود 51
- مبحث الأمر في كتاب التقريب والإرشاد
للقاضي أبي بكر الباقلاني عرض وتحليل ..... د.هشام محمد ميلاد دقدق 69
- النص المقبول لرد الإفتاء
المعلول بدية المقتول ..... د. عبد الله علي شعبان المجبري 89
- مسألةُ تَعدُّدِ الحُمَلاءِ لمؤَلِّفها: الشيخ مُحمّدِ الغريانيِّ بنِ عليٍّ, المُتَوفىَّ سنة:1195هـ- 1780م ..... د. المحجوب إبراهيم الزُّنَيقري 101
- الكلام على حكم سجود التلاوة من جلوس إذا كان جالساً تصنيف:
إبراهيم الماموني الشافعي المصري (ت 1079هـ) .....د. علي مفتاح الشنيبي 135

- أحكام رواية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى
..... د. عماد علي الأزرق 165

- أثر قراءة الأعمش في دراسة المعرب من الأسماء
..... د. حفصة الطّاهر المبروك 183

- مستويات توظيف الْمُفْردةِ الدّينيّة فِي سياقِ الْمُعجَمِ الشّعريّ
في ديوان (شمعة في العدم) ..... د. علاء الدين محمّد الفرجاني الأُسْطى 213

- ظاهرة التقديم والتأخير في ديوان «وفاء» للأستاذ عبد اللطيف الشويرف
(نماذج وتطبيقات) ..... د. صالح محمّد الشريف 241

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الباحث والقراء الأكارم يسر هيئة تحرير مجلة التبيان أن تضع بين أيديكم **العدد السادس عشر** من إصداراتها، وهو خاتمة أعمالها لسنة 2023م ويحتوي على جملة من البحوث في مواضيع فقهية وعربية تهتم بأمر المسلمين وتقدم خدمة جليلة لهذا الدين الحنيف الذي أمرنا الله باتباعه والالتزام بما جاء به من أوامر ونواهي من شأنها أن تنفع المسلم في معاشه ومعاده .

البحوث التي نعرضها في هذا العدد منها ما يخص مقاصد الشريعة السمحاء ومنها البحوث التي تهتم بفقه العبادات وبفقه المعاملات ، ومنها الذي يبين مفهوم المفردة الفقهية ،اشتمل العدد أيضا على جانب التحقيق لبعض النصوص الشرعية،وكذلك اشتمل على بحوث في لغة الضاد.

أخيرا نقدم شكرنا لكل من ساهم في انجاح المجلة سواء بنشر البحوث المفيدة أو بالمتابعة والقراءة وإبداء التوجيهات العلمية البناءة.

دمتم جميعا لخدمة الإسلام وأهله.

أ.د. الهادي المبروك سالم
رئيس هيئة التحرير

مستويات توظيف المُفْردةِ الدّينيّة فِي سياقِ المُعجَمِ الشّعريّ في ديوان (شمعة في العدم)

د. علاء الدين محمّد الفرجاني الأُسْطى

قسم اللغة العربية-كلية العلوم الشرعية تاجوراء

جامعة طرابلس

مقدمة:

للمفردة الدينية في النص الإبداعي تأثيرها على السامع والقارئ، الأمر الذي جعلها محل اهتمام النقاد بالدراسة والتحليل والتأويل، والشعراءِ بالاقتباس والتضمين والتناص، كما أن اتكاء الشعراء المعاصرين على المفردة الدينية، وتوظيفها في تشكيل رؤاهم يُعدُّ بابا واسعا من أبواب الإبداع في الشعر العربي المعاصر، بل يمكن القول: إنه الباب الأرحب، الذي لم يغفله شاعر معاصر.

غير أن ولوج هذا الباب لا يخلو من الصعاب، فالشاعر الذي لم يمتلك ناصية اللغة، ولم يتمرس في سياق التراكيب، ودعمها بمفردات دينية تتيح لها دلالات عميقة، وأبعادًا أوسع، لا شك أنه يقع في محاذير، وربما محظورات؛ فهو إما أن ينتج نصا هشا لا يعدو كونه نظما، وإما أن يتجرأ على بعض المعاني الدينية، مما يجعله محل اتهام من النقاد أ علماء الدين.

لذلك اهتم النقاد على اختلاف مشاربهم بالسياق في تأويل المفردات الدينية، بل وتعدوا السياق العاديَّ؛ ليهتموا بسياقات المعجم الشعري، الذي يُعدُّ سمة من سمات شخصية الشاعر، وخصوصية من خصوصياته، ومن ثم

اجتمعت القضايا النقدية والإبداعية، الأمر الذي يزيد في أهمية هذا الباب، ويرفع شأوه.

ومن أهمية هذه الدراسة أنها تجمع بين قضايا: (التأويل، السياق، المعجم الشعري)، تجاه المفردة الدينية التي يرتبط بها المبدع والقارئ والناقد ارتباطا كُلّيًّا لا يستطيع الانفلات منه؛ لأن الدين هو الغاية الأسمى عند الإنسان مهما كانت ديانته، فما بالك بالإنسان المسلم المرتبط مع الدين الإسلامي في جميع شؤون حياته.

وعليه، فإن ارتباط الإنسان الوثيق بالدين، شاعرا وقارئا وناقدا، يحتّم عليه ألا يُغفِلُ المفردة التي ترتبط بالدين تصريحا أو تلميحا.

كما أن إبراز دور السياق عامة والمعجم الشعري خاصة في الكشف عن المعاني المستترة للمفردة الدينية، يعد أداة مكينة من أدوات تحليل النص، وتأويل مفرداته.

ثم إن الوقوف على أهمية المفردة الدينية في النص الشعري المعاصر، ومدى تأثيرها في السمو بالنص، والرفع من قيمته الفنية، يبرز دورها في إكساب التراكيب أبعادا دلالية، ومعانٍ مبتكرة.

وعلى الرغم من ذيوعها بين الشعراء المعاصرين، فقلما نجد له ضابطًا أو حدًّا؛ الأمر الذي جعل بعضهم لا يتقن استخدام المفردة الدينية، ولا يحسن توظيفها، مما جعل اهتمام هذه الدراسة متجها إلى تمييز إحسان الشاعر لها من الإساءة لنفسه.

إن اعتماد الشاعر اليمنيّ محمد الْمَهَدّي على المفردة الدينية، سواء في شعره المطبوع أم المخطوط، يستدعي النظر والتأمل فيما يريد أن يصل إليه الْمَهَدّي من معانٍ، وما يتراءى له من رُؤًى أراد تصويرها متكئا بشكل كبير جدا على المفردة الدينية التي لا شك أنه يريد بها معان ودلالات تتجاوز معناها المعجمي أو الاصطلاحي.

ومن ثم جاء البحث في أربعة مباحث، على النحو الآتي:

المبحث الأول: قراءة في المصطلح:

المطلب الأول: المعجم الشعري:

إن اللغة هي الأداة التعبيرية الأساس، التي يعبر من خلالها الشاعر، ويرسمُ ويُصوّرُ ويتَغنّى، وما زال الشعراء يتنافسون في تمييز لغاتهم، مما يجعل لكل شاعر شخصية يتميز بها، تبرز ملامحها من خلال أسلوبه؛ فالأسلوب هو الشاعر، واللغة هي أساس الأسلوب.

إن اللغة التي يختص بها الشعراء، والمعاني التي تدل عليها لغاتهم، هي مفتاح الوقوف على شخصياتهم وخصوصياتهم، فالمتأمل في شعر شاعر ما، لا بد أن ينتبه لألفاظ ومفردات يتميز بها شعره، وفي هذا قول الجاحظ: " ولكل قوم ألفاظٌ حَظِيَتْ عندهم، وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور، وكل شاعر في الأرض، وصاحب كلام موزون، فلابدّ من أن يكون قد لَهِجَ وأَلِفَ ألفاظًا بأعيانها؛ ليديرها في كلامه، وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ" [1]، وهذا يعني: أن ثمة لغة عامة ولغة خاصة، يمكن تسمية الأولى بالمعجم اللغوي، والثانية بالمعجم الشعري.

فالمعجم اللغوي: تمثله كل المفردات اللغوية التي استعملها الشاعر دون استثناء، ويمكن الحكم على تميُّزها من حيث القوة والجزالة، والسلاسة والفصاحة، والغرابة والوضوح، والإيقاع والموسيقا، إلى غير ذلك من مقاييس المفردة اللغوية.

أما المعجم الشعري: فقد تعددت تعريفاته بين الباحثين، ونتيجتها أنه: تلك الألفاظ التي تتردد في شعر الشاعر، وعليها يدور شعرُه؛ لتكون سمة من سمات أسلوبه.

ومن المهم هنا عرض بعض تعريفات المعجم الشعري التي منها أنه: " القاموس اللغوي للشاعر، والذي تَكَوَّنَ

1- الحيوان، 3 / 366.

من خلال ثقافته وبيئته ومناخه الذي عايشه "[1].

ومنها أنه: " ذلك الرصيد اللفظي الذي يُكَوّنُ الخطاب الشعري لدى شاعر من الشعراء، والذي يتسم بالخصوصية أو الذاتية الناتجة عن قدرة المبدع في بث الطاقات الجديدة من هذه الألفاظ أو تلك، مما يحويه خطابه الشعري "[2].

وأنه: " تلك المفردات النشطة التي يشكل منها الشاعر قصائده، والتي لا تفتأ تتكرر بشكل ملحوظ في إبداعه، ومن ثم تعد هذه المفردات النشطة خطا عموديا يخترق المستويات الأفقية للنص: الصوتية، والتركيبية، والنحْوية، والتصويرية، مما يجعلها تمثل المفتاح الرئيس لإبداع شاعر ما، وتمثل بصدق رؤيته للعالم "[3].

وليست هذه التعريفات بعيدة عن نظرية الجاحظ السابقة التي جاءت تحت عنوان " حظوة بعض الألفاظ عند بعض الناس "[4].

والخلاصة: أن المعجم الشعري عند شاعر ما يُعد مفتاحا للقارئ ومحورا لشعر الشاعر، مما جعل أهميته ترقى لأن تجعله الأساس الذي يُبْنَى عليه تحليلُ النصّ وتأويلُه.

ولا يمكن هنا إغفال الألفاظ التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع النص الشعري، والألفاظ التي تمثل عاملا مشتركا بين نصوص شاعر ما من خلال ديوان أو أكثر.

ويمكن تمييزها من خلال تصنيفها إلى حقول دلالية أو حقول معجمية، تلك التي تمثلها "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ واحد يجمعها "[5]. فيقال مثلا: الحقل الديني، الحقل السياسي، الحقل الإنساني، حقل الألوان، حقل الطبيعة الخ.

1 - علم الدلالة، 36.
2 - شعر إبراهيم ناجي، دراسة أسلوبية بنائية، 183.
3 - تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، 53.
4- الحيوان، 3 / 366.
5- علم الدلالة، 79.

ومن أنواع الحقول الدلالية الحقل الديني، الذي تمثله مجموعة الكلمات المرتبطة بالدين، وتحليلُها من خلال السياق الذي وردت فيه بالمعجم الشعري للشاعر اليمني محمد الْمَهَدّي هدف هذا البحث وغايته، فلماذا محمد الْمَهَدّي؟، ولماذا المفردة الدينية في شعره؟.

المطلب الثاني: من سيرة الشّاعر:

هو الشاعر محمَّد الْمَهَدّي، من مواليد محافظة الْمَحْوِيتْ - الواقعة في الجنوب الغربي للعاصمة صنعاء باليمن - سنة أربع وثمانين وتسعمئة وألف للميلاد، ويمكن تلخيص سيرته في النقاط الآتية:

أولا: منجزه الشعري:

للمهدي منجز شعري غزير مقارنة بجيله من الشباب، فقد صدر له من الدواوين:

- جهات الرمل فاصلتي، الصادر عن مركز عُبادي للدراسات والنشر.. صنعاء 2010 م.
- ممالك يدركها البهلول، الصادر عن مركز عُبادي للدراسات والنشر، صنعاء 2012 م.
- شمعة في العدم الصادر عن جائزة أثير للشعر العربي، عُمان 2016 م.
- نَشَرَتْ له العديدُ من الصحف والمجلات العربية.

وله دواوين تحت الطبع:

- جالسٌ في الأبد.
- المُبصِر.
- الملائكة.
- نصوص قصيرة (4 × 6).
- يومئذٍ.

ثانيا: الجوائز الشعرية:

- حصل على جائزة رئيس الجمهورية للشعر لعام 2008م- بالمحويت.
- حصل بديوانه المُبصر على جائزة الشباب، جائزة أثير للشعر العربي لدورتها الأولى، في سلطنة عُمان.
- حصل بديوانه شمعةٌ في العدم على المركز الأول لجائزة أثير للشعر

العربي لدورتها الثانية. في سلطنة عُمان.

- شارك في العديد من المهرجانات الأدبية.

من خلال هذه السيرة المختصرة للشاعر[1]، يمكن الانتباه إلى غزارة منجزه الشعري مقارنة بجيله من الشعراء الشباب.

ولو أخذنا بعين الاعتبار الجوائز التي حصل عليها، فيمكن الانتباه إلى أن لشعره قيمة تميزه، وإن كان مقياس الجوائز في عصرنا لا يُعوَّلُ عليه كثيرا، فإن القارئ لشعر الْمَهَدّي يلمس بوضوح القيمة الفنية فيه، ليس هذا من باب المجاملة أو المحاباة، لكن شعره يُحَدّث بذلك، وما على الباحث أو الدارس إلا ليقرأ بعض قصائده؛ لينتبه إلى أنه يقرأ لشاعر متميز.

المطلب الثالث: المفردة الدينية:

لا يوجد تعريف جامع للمفردة، إلا أن المعاجم العربية تكاد تجمع على أن " الفرد ما كان وحده"[2]، وكل ما انفرد وصار وحده فهو فرد[3]، فتتفق المعاجم العربية على أن معنى (فرد)، الذي لا يختلط بغيره، وهو ضد الجمع[4].

أما علماء العربية، والبلاغيون منهم خاصة، فقد اعتنوا بتعريف المفردة، فعرفها الزمخشري، بأنها: " هي اللفظة الدالة على مفرد بالوضع"[5].

وعرفها السيوطي ـ، بأنها: " قول مفرد مستقل"[6]، وعرفها إبراهيم أنيس بأنها: " قول مفرد دل على معنى مفرد"[7].

إذن فالمفردة الدينية هي الكلمة الواحدة من الكلمات الدينية، وهي تنقسم إلى مفردة قرآنية، ومفردة نبوية، ومفردة اصطلاحية، سواء أكانت مفردة ربانية، أم مفردة عربية، أم مفردة دالة على إحدى

1- السيرة من مخطوطة بخط الشاعر.

2- هذا النص نقله الأزهري عن الليث، معجم تهذيب اللغة، مادة (فرد).
3- ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، باب الدال فصل الفاء.
4- ينظر: لسان العرب، مادة (فرد).
5- المفصل في علم اللغة، ص 4.
6- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 1 / 24.
7- دلالة الألفاظ، ص 29.

الشعائر أو المصطلحات الدينية، سواء إسلامية كانت أم غير إسلامية.

أما إن كانت المفردة الدينية مجاورة لمفردة دينية أخرى أو أكثر، فتسمى تركيبا، أي جملة مركبة من مجموعة مفردات دينية.

وبهذا يقوم ميدان بحث المفردة في هذه الدراسة على ركيزتين، هما المفردة الدينية المنفردة، والمفردة الدينية المركبة.

المبحث الثاني: الحقل الديني في معجم الشاعر:

يمكن تعريف الحقل الديني بأنه مجموعة الكلمات الدالة على الدين[1]، ويسميه البعض بالمعجم الديني[2]، ومن خلال استقراء المعجم الشعري لمحمد الْمَهَدّي يمكن إضافة الكلمات التي وجهها السياق توجيها دينيا[3]، كما تجدر الإشارة إلى أن الحقل الديني لا يقتصر على المفردات الإسلامية، بل على المفردات الدينية عند المسلمين وغير المسلمين.

ولن يجد القارئ لشعر الْمَهَدّي عناء في الانتباه للمعجم الشعري الذي يتكئ عليه، فالمفردات الشعرية تتكرر بلفظها ومرادفاتها؛ لتتكون حقول دلالية تمثل مجتمعة المعجم الشعري للشاعر، ولا شك أن الحقل الديني أهم هذا الحقول، وأكثرها حضورا.

المطلب الأول: حضور الحقل الديني في شعره:

لم تغب المفردة الدينية عن قصيدة واحدة مما تسنى الوقوف عليه في شعر الْمَهَدّي سواء في شعره المخطوط أو المطبوع، وهو شعر كثير؛ لذلك فهو يعد مثالا حيًّا لبعض ما يتميز به شعره؛ لأن قارئه لن يجد عناء في الانتباه إلى المفردة الدينية التي تتكرر كثيرا جدا، سواء في مخطوطه الشعري الذي ينشره من حين لآخر على صفحته في (فيس بوك)، أو في دواوينه المطبوعة، ومنها ديوانه (شمعة

1 - من باب تعريف الخاص، إذ تعرف الحقول الدلالية عموما بأنها " مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ واحد يجمعها " علم الدلالة، ص 79.

2 - ينظر: حداثة التواصل الرؤية الشعرية عند نزار قباني دراسة في الإيقاع واللغة الشعرية، ص 427.

3 - سيأتي تفصيل هذا في فقرة (مستوى المفردة الدينية غير المباشر).

في العدم) الذي جاء في أكثر من ثلاثمئة صفحة يضم بين دفتيه أربعة وستين نصًّا لم يخل نص واحد منها من حضور المفردة الدينية.

ومن هنا كان من الطبيعي البحث في دلالة المفردة الدينية التي تُعتبرُ لازمة في شعره، سواء في هذا الديوان أو في غيره من مطبوع ومخطوط.

إن التكرار المستمر لمفردات الحقل الديني في سياقات متنوعة، يدعو للتساؤل عما إذا كانت تلك المفردات تقف عند معانيها المعجمية أم أنها تتعداها لمعان ودلالات أُخَر؟.

وتمهيدا للإجابة يجدر التنبيه إلى حقيقة جاءت على لسان الدكتور أحمد مختار عمر في قوله: " بعض الناس قد يظن أنه يكفي لبيان معنى الكلمة الرجوع إلى المعجم ومعرفة المعنى أو المعاني المدونة فيه، وإذا كان هذا كافيا بالنسبة لبعض الكلمات فهو غير كاف بالنسبة لكثير غيرها "[1]، حقيقة أكدها الشاعر محمد الْمَهَدّي بنفسه حيث قال:

ألهاكمُ التأويلُ

ما مِنْ غَامِضٍ،

إلا كَسَبْتُ تَمَرُّدِي وَرِهَانَهْ[2]

وليس من المبالغة القول: إن شعر الْمَهَدّي يمثل حالة خاصة، فهو يحتاج لجهد عظيم من التأمل، والتحليل، بل والتأويل.

وفي النهاية فإن شعره إنساني بامتياز يتجاوز حدود القومية الضيقة؛ من خلال توظيفه لها لتشمل الإنسانية جمعاء، بل إنه يوظف الدين أيضا لخدمة الإنسان، ولا ريب أن هذه الرسالة التي حملها الشاعر الْمَهَدّي تحتاج لغة خاصة، لغة متمردة كما وصفها في بيته السابق، لا يقف على معانيها ودلالاتها إلى خاصة القراء، وفي ذلك يجيب الشاعر الْمَهَدّي مُصَرّحًا دون خجل أنه يكتب شعرا

1- علم الدلالة، مرجع سابق، ص36.
2- ديوان شمعة في العدم، ص 42.

مُعْجِزًا، يحتاج القارئ والناقد لجهد حتى يصل إلى معناه.

ولا يقف الْمَهَدّي عند هذه الإشارة السابقة، بل يضيف بأن لغته خارقة؛ فيقول:

الْحِكَايَةُ أَكْبَرُ مِنْ قَارِئٍ عَابِرٍ،

لابُدَّ مِنْ لُغَةٍ فَوْقَ طَاقَتِهَا فِي الْحَوَارِق (1)

وبهذا ينبه الشاعر القراء والباحثين بأنهم أمام لغة تتعدى معانيها القريبة، ولا غروَ أن تكون بعض تلك السياقات متسمة الغموض، ولعل الاجتهاد في التأويل يلامس بعضَ أطرافِها.

المطلب الثاني: أنماط الحقل الديني:

من يقرأ شعر الْمَهَدّي يلحظ بوضوح مفردات دينية تتكرر كثيرا في شعره، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي: المفردة، المصطلح، التركيب.

- فأما المفردة فالمراد بها الكلمة الدينية الواحدة من غير المصطلح، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (الدين، الأديان، الله، المنبر، المنابر، الأنبياء، أصلي، تؤذّن،).
- وأما المصطلح فالمراد به المصطلحات التي اكتسبت صبغة دينية انزاحت بها عن معانيها اللغوية، ومنها: (الصلاة، أصوم، القبلتين، الزهد، الشيطان، الحديث الشريف) .
- وأما التركيب فينقسم قسمين:

1- تركيب اقتبسه الشاعر كما هو، ومنه: (آمنت بالله، الحديث الشريف، سورة الحشر، أم الكتاب، سورة الأحزاب، شجرة الخلد).

2- تركيب اخترعه الشاعر من تراكيب دينية، ومنه: (صاحب الكهف، له أسماؤه، شيخ المجوس، اليقين الأكفر، أنا خليفة الله، ألهاكم المعنى، ألهاكم التأويل).

المبحث الثالث: مستويات التوظيف المباشر:

في هذا المستوى، يُعتَمَدُ التأويلُ المطابق الذي " يُعنى بالكشف عن الدلالة

1- نفسه، ص 76.

التي يقصدها الكاتب؛ لأننا نركز في هذا النمط على قصدية الكاتب، أو على الدلالة الأحادية والأصلية للمؤلف"[1]، ومن خلاله تتجلى مهارة الشاعر في توظيف المفردة داخل سياق المعجم الشعري.

المطلب الأول: مستوى توظيف الكلمة:

ويراد بها المفردات الدينية على اختلاف مصادرها، فمنها ما تدل على الشعائر الدينية لأي دين، ومنها يدل على المقدسات، أو ما يدل على كل ما له علاقة بالدين، الإسلامي، والسماوي، والوضعي.

وبالوقوف على قصيدة (يومئذ) يلاحظ دون عناء أنها غنية بالمفردة الدينية - أسوة بمعظم قصائد الشاعر –، حيث لا يخلو مقطع واحد فيها من مفردة دينية أو أكثر.

لكن الدلالات تختلف وتتفاوت بين البعد والقرب في إرادة الدين من عدمه، ويمكن حصر مفردات الحقل الديني في هذه القصيدة في: (يومئذ التي تكررت اثنتين وثلاثين مرة، الحديث، الشريف، مؤمنة، قبلة، أم الكتاب، سبت، معتقدات، الديانات، ضلالك، سورة الروم التي تكررت مرتين، اللحى، العمائم، تؤذن، أشهد، حيّ على، أعياد ميلادها، المنابر، الله، الكتاب، شهيد، ريح السموم).

هذه أربعٌ وخمسون مفردة وردت في سياقات تخرج بها عن معناها المعجمي المباشر، وبصياغة بعضها في سياقاتها يمكن الوقوف على بعض تلك الدلالات، ففي قوله:

يَوْمَئِذٍ

وَالْمَنَابِرُ تَكْذِبُ حَتَّى عَلَى اللهِ

تَسْقُطُ قبْل انْهيارِكْ

فالشاعر يوظف المنابر من خلال المجاز المرسل في علاقته المحلية، للدلالة على خطباء الضلال، إذ يعبر بالمحل وهو المنبر ويريد الحال فيه وهو الخطيب الذي يضلل الناس باسم الله، فيدعوهم لما يدعوهم إليه من ضلالات إما بنصرة الحرب، أو تهيئتهم لها؛ ليكونوا وقودها، فالخطباء يكذبون على دين الله باسم الله، فيَضِلّون ويُضِلّون.

1- استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، ص57.

ومن هنا يمكن تأويل قول الشاعر إلى الآتي:

يوم إذ تقوم الحرب يكذب الخطباء من فوق المنابر على الله باسم الله، والغرض واضح، وفي هذا تحذير من قِبَل الشاعر من (يومئذ)، يوم إذ تقوم الحرب احذر أيها الإنسان من الاستماع لما يروّج له تجار الحروب من رجال الدين، الذين أولاهم الشاعر اهتمامه في هذا النص وفي غيره، فتكررت الإشارة إليهم والتعريض بهم، منذ بداية القصيدة حين قال:

يَومَئِذٍ

يُقْتلُ الْوَرْدُ بِاسْمِ الْحَدِيثِ الشّرِيفِ

وتَخْتَلِفُ الأُغْنِيَاتُ مَعَ الْوتَرِ الشَّاعِرِيّ

بِكُلّ اخْتِصَارِكْ ..

إذن فالمنابر (الخطباء) تكذب على الله، باسم الحديث الشريف (باسم الله)؛ لتكون النتيجة المأساة، وهي أن يقتل الورد (الشباب الغض)، ولا فرق عند الشاعر بين أن تكذب المنابر على الله، وبين أن يقتل الورد باسم الحديث الشريف، فكلاهما نتيجة لتلك الفتاوى المضللة، التي يخشى الشاعر أن تجد صدى لها في عقول الناس، ولا سيما الشباب (الورد)، ومن ثم يقع المحذور الذي نبه إليه الشاعر بقوله:

يَوْمَئِذٍ

يَزْحَفُ الْجُنْدِيُّ نَحْوَ اللّحَى

وَاللّحَى مِنْ وَرَاءِ الْعَمَائِمِ تَجْلِدُ غَابَاتِ انْصِهَارِكْ

يوم إذ تقوم الحرب، ويغيب العقل، ينصاع الجندي مؤتمرا بأمر رجال الدين المضللين، فيزحف نحوهم يستمد منهم الأوامر (الفتاوى)، وقد غررت به لحاهم، وعمائمهم التي تجلد كل جميل في هذا البلد وفي هذا الكون؛ لتختفي كل الأصوات العاقلة، إذ لا صوت يعلو على صوت الدمار والخراب الذي تخلفه الحروب، بعد أن ظن كل فريق أن ما يعتقده هو الصواب؛ ليكون الإنسان السوي ضحية هذا الاختلاف، وفي ذلك قوله:

يَوْمَئِذٍ

مِلْءُ رَأْسِكَ مُعْتَقَدَاتُ الدّيَانَاتِ

دَاخِلَةٌ فِي ضَلالِكَ

خَارِجَةٌ عَنْ قَرَارِكْ..

لقد اتكأ الشاعر الْمَهَدّي على المفردة الدينية في تصوير الواقع الديني الأليم الذي صار يعيشه العربي والمسلم، بسبب الحروب التي لا مبرر لها، حيث يقف العقل مشدوها أمام ما يسمعه من معتقدات، وما يراه من ضلالات لا قرار له فيها، ولا قناعة له بها، لكنه مضطر اجتماعيا وقبليا أن ينحاز لمعتقد ضال دون أن يكون له رأي في ذلك أو قرار.

هذا مثال على غزارة المفردة الدينية في قصيدة واحدة، ومعظم قصائد ديوان (شمعة في العدم) تنحو هذا المنحى من أول الديوان إلى آخره.

ومنها: قصيدة (الموعود)[1] التي تشمل المفردات الدينيةَ الآتية: (المحشر، أصلي، ركعتين، ذنب، اسْتَغْفَر، أصوم تكررت مرتين، أتسحر، الله، سُجّرتْ، رسالة، النذير، تبايعني، المشيئة، القبلتين، الرؤيا، الميلاد، الكتاب، الضلالة، أدبرت، الهداية، أسفر، اصطفيت، الأنبياء، أسماؤه، القلم، السبت، فاللّهُمَّ، المرجفون، مصدق، مكذب، المنبر، المؤمنون، بربهم، طغى، استكبر، الدين، مُهَوَّدٍ، مُنَصَّرٍ، الشيطان، الأديان، اليقين، الأكفر، آية، كبرى، يوم القيامة).

هذه ست وأربعون مفردة في قصيدة الموعود، إضافة إلى خمس وخمسين مفردة في قصيدة يومئذ، مجموعها مئة وواحدة، تكررت منها في القصيدتين ثمان مفردات هي: (الله والله، قبلة والقبلتين، ميلادها والميلاد، الكتاب والكتاب، ضلالك والضلالة، سبت والسبت، المنابر والمنبر، الديانات والأديان).

يقول الْمَهَدّي في مطلع قصيدة الموعود:

أيضًا

أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ وَأَكْثَرْ

1- ديوان شمعة في العدم، ص 7.

أيْضًا

وَأَصْغَرُ مِنْ أَبِيهِ وَأَكْبَرْ

أيْضًا

أَخَفُّ مِنَ الْحَيَاةِ وهَجْسِهَا

أيْضًا

وَأَثْقَلُ مِنْ ذُهُولِ الْمَحْشَرْ

فما الذي يعنيه بقوله: (وأثقلُ من ذُهُول الْمَحْشر)؟، وعن أي (محشر) يتحدث؟، وما الحدث الدنيوي الذي يمكن أن يكون أثقل من أهوال يوم القيامة؛ ليقف الإنسان مذهولا أشد من ذهوله في المحشر؟، بل أي حدث يجعل من القليل أكثر، والصغير أكبر من أبيه؟.

لا يخفى على ذي عقل أن الأهوال العظام تفعل فعلها في الإنسان، وهذا ثابت في سنن الحياة وفي النص القرآني في مثل قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (1).

إن ثمة محشرا دنيويا ثقيل على الإنسان، حين تطل الحروب وأهوالها من جديد؛ لأن متابعة سياق المعجم الشعري للْمَهَدّي، لن يجد عناء في تأويل أن الحروب هي الْمُرادَةُ من استعمال الشاعر لمصطلحات: (المحشر والقيامة والأهوال)، كما أن سياق قصيدة (الموعود) خصوصا ينبه لذلك، ففيها يقول:

أيْضًا

أُصَلّي رَكْعَتَيْنِ،وَنِصْفُ لَيْلِ الْمَوْتِ

عَنْ ذَنْبِ الْفنَاءِ اسْتَغْفَرْ

أيْضًا

أَصُومُ عَنِ الطَّعامِ

عَنِ الْكَلامِ

عَنِ الْخُرُوبِ

أَصُومُ

لا أَتَسَحَّرْ

عندما تأتي مفردة (الموت) في سياق الاستغفار عن ذنب الفناء، فإن التأويل يقضي بأن المراد هنا الموت المتعمد بفعل الإنسان، وليس الموت الطبيعي، هنا يمكن أيضا تأويل الموت بأنه رجل الدين

1- سورة المزمل / 17.

الذي أفتى الشباب بأن يقتلوا أنفسهم، حتى إذا قتلوا استغفر لهم (الموت) المتمثل في رجل الدين، وأهداهم صكّ الشهادة، تشجيعا لمن بقي حيا من رفقائهم.

وبما أن الشاعر الْمَهَدّيّ متفطن لضلالة فتاوى الحرب والاقتتال، فإنه يفضل الصيام، يصوم عن الطعام، عن الكلام، يصوم بكل معاني الصيام اللغوية والاصطلاحية، يصوم عن الطعام (لحوم إخوته فلا يقتلهم)، ويصوم عن الكلام مثلما صامت مريم العذراء عندما اتهمها رجال الدين بالفاحشة.

ثم (عن الحروب أصوم)، وهو من معاني الصيام التي اخترعها الْمَهَدّي، من خلال سياق معجمه الشعري، في تركيب يجعل صيامه عن الحروب أوثق من صيامه عن الطعام ومن صيامه عن الكلام، فكيف ذلك؟.

يمكن إعادة النظر في التركيب المستعمل من قبل الْمَهَدّي؛ ليتبين الفرق، والتراكيب كانت كالآتي: (أصوم عن الطعام، أصوم عن الكلام، عن الحروب أصوم)، والفرق واضح جليّ، وهو تقديم الجار والمجرور فقط في قوله: (عن الحروب) على العامل (أصوم)، ومعروف في الدرس البلاغي أنه متى ما تقدم الجار والجار فإن الأسلوب يفيد القصر [1].

إذن فالشاعر يصوم عن الطعام، عن الكلام لكن ليس تماما، أما عن الحروب فهو دائم الصيام، لا يشارك فيها، بل ولا يؤيدها في الوقت الذي استدرجت فيه الحروب الناس إلى تأييدها ولو بقلوبهم بمباركة رجال الدين لها.

ومن لطائف توظيف المفردة الدينية في هذه القصيدة قوله:

الأَنْبِيَاءُ تَجَمَّعُوا فِي وَاحِدٍ

الْوَاحِدُ الْفَرْدُ الْيَتِيمُ تَشَجَّرْ

لِلنّاسِ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ..

لَهُ: أَسْمَاؤُهُ، الْقَلَمُ الرَّصَاصُ، الدَّفْتَرْ

أنبياء العصر لا ريب أنهم شعراؤه، هذا ما اصطلح عليه شعراء العصر المعاصرون، تجمع هؤلاء الأنبياء

1- ينظر: علم المعاني، ص 141.

بنبوءاتهم ورُؤاهم في شاعر واحد هو محمد المهدي.

لكن هذا الواحد تشجر، في الوقت الذي كان فيه غيره يتفجر، تشجر رغم الدمار الذي يحيط به من كل الاتجاهات، وللناس يهدي كل أشجار الأرض، ويكفيه دفتر وقلم رصاص يرسم بهما أسماءه الخاصة بمعجمه الشعري.

المطلب الثاني: مستوى توظيف التركيب:

يتأمل الْمَهَدّي كثيرا في النصوص الدينية، فيقتبس من القرآن آيات كما هي بنصها، ويضمن آيات أخر، ويوظف أسماء بعض السور، وهذا ليس بجديد في الشعر العربي، فما بالنا ونحن أمام شاعر ديدنه الدين ألفاظا وتراكيبا، وقد استعمل الشاعر في توظيف التراكيب الدينية تقنيات عدة أهمها:

أولا: الاقتباس:

الاقتباس من المصطلحات البلاغية القديمة، وهو يعني الاستعانة بآية قرآنية، أو أكثر أو أقل، في نص كاتب أو شاعر؛ لغايات عدة، منها تقوية الأساليب التعبيرية، أو دعم أفكار المؤلفين والشعراء [1].

وقد اتجه المهَدّي إلى اقتباس آيات أو بعض آيات، تصريحا وإشارة؛ إما لتقوية أسلوبه، أو دعم أفكاره، عن طريق الاقتباس المباشر من القرآن، أو الإشارات من بعيد للنص القرآني، ومن ذلك اقتباسه آيتين، وإشارة إلى آية ثالثة في بيت شعر واحد، حيث يقول:

قُلْ: إِي وَرَبّي إنَّهُ هُو " إنّني...
أدْرَكْتَ بِسْمِ اللهِ..
ثُمَّ لَمْ تَتَعَثّرْ [2]

فقوله: قل إِي وَرَبّي إنَّهُ، اقتباس من قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** ﴾ [3]، وكذلك كتابته لقوله:(بسم الله) بهذا

1- ينظر: مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد الأول، مايو 2021م، ص 44.
2- شمعة في العدم، ص 16.
3- سورة يونس / 53.

الشكل فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [1].

وأما الإشارة فجاءت في قوله (إنني...)، مع علامة الحذف التي بعدها، في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [2]، أو قوله: ﴿إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [3].

والملاحظ أن هذا البيت الموشى بالنص القرآني في قصيدة الموعود التي يتحدث فيها الشاعر عن صلاته وصومه، ومبايعة المدائن له؛ وأنه ابن الهداية الذي ولد ميلادا لا يتكرر، أدبرت بعده الضلالة، إلى غير ذلك من المفردات والتراكيب الدينية التي يسقطها على نفسه، كلها تشي بأنه يحاول إثبات أن ما يراه حق، وأن منهجه هو المنهج المستقيم، وأن موعده الحقيقة حيث يختم القصيدة بقوله:

وَهُنَاكَ

تَأْخُذُ لِلْحَقِيقَةِ

صُورَةً

هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ

فَوْقَ مَا تَتَصَوَّرْ [4]

ومن مهارة الْمَهَدّي تطويعه للغة، كما هو الحال في قصيدته (عبثية البوصلة)، التي يملؤها التأمل والحكمة والنصح، وفيها يقول:

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ

حتَّى بِعَجْزِ البَيْتِ جَاءَتْ يَكْدَحُكْ [5]

هنا أيضا يقتبس الآية بنصها من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [6].

وفي البيت الأخير من هذه القصيدة يضع لمسة خفيفة على آية قرآنية؛ ليعضد بها وصاياه وتأملاته التي أثبتها في القصيدة حيث يقول:

لاَ شَيءَ يَا لَيْلَ الفَناءِ يُخِيفُنِي

إِنِّي أَرَى فِي الصَّحْوِ أَنِّيَ أَذْبَحُكْ [1]

1- سورة الفاتحة / 1.
2- سورة الأنعام / 162.
3- سورة فصلت / 32.
4- شمعة في العدم، ص 22.
5- نفسه، ص 95.
6- سورة الانشقاق / 6.

هو يذبح الفناء في الصحو، أي في اليقين في الحقيقة، لا في المنام والخيال، يذبحه بعزيمته وإصراره، لا بالأحلام والأماني، وبهذا يكون قد استبدل المنام في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ** ﴾ [2] بالصحو؛ للدلالة على يقينه بما يعتقد فعلا وقولا.

ثانيا: التناص:

التناص من المصطلحات النقدية الحديثة، وهو يأخذ مفاهيم عدة كالتبادل والتداخل والتعالق، " وهذا المصطلح بصورة أخرى كالاقتباس يقبل النص القرآني حرفيا، كما يقبل مضمون ذلك النص دون ألفاظه مما يقترب من التضمين، ويقبل ثالثا الإيحاء بذلك النص، مما يزيد على الاقتباس والتضمين، ويمزج رابعا أثر النص القديم مع النص الجديد للكاتب أو الشعر بسبك لغوي متآلف ونسج بلاغي متناغم وثيمة أدبية جديدة" [3].

ومن النصوص القرآنية التي وظفها الشاعر المهدي عن طريق الإيحاء، ما جاء في قوله:

هِيَ تَجْرِبَةٌ تَسْتَحِقُّ الْمَسَافَةَ...

قُلْتُ لَهُمْ:

لا تَكُونُوا قَرِيبِينَ مِنْ بَعْضِكُمْ فِي الْخُطَى،

إنْ ذَهَبْتُمْ إلى الْبَحْرِ لا تَشْرَبُوا مِنْهُ يَوْمًا؛

لِكَيْ تَكْتُبُوا [4].

والنص هنا يحيل القارئ إلى قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي** ﴾ [5]، ثم يختم القصيدة بقوله:

دَرْبُنَا مُظْلِمٌ أَيهَا البَحْرُ،

قَالَ :ارْجِعُوا الآنَ مِن حَيْثُ جِئتُمْ

وَتوْبوا إلى صَاحِبِ الكَهْفِ

فُهو النَّهَارُ الكَثِيْفُ

هُوَ المَطَرُ ا لأعذب..

1- شمعة في العدم، ص 98.
2- سورة الصافات / 102.
3- مجلة التأويل، ص 46.
4- ديوان شمعة في العدم، 116.
5- البقرة / 249.

فَاشْرَبُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ بأَنْ تشْرَبَوا مِنْهُ

كَيْ تكْتُبُوا [1] .

فهو يشير إلى نصوص قرآنية كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦ ﴾ [4] .

إن اتكاء المهدي على آيات القرآن الكريم وتوظيفه لها يعد لازمة من لوازم شعره، حتى إن القارئ لا يجد نصا واحدا من نصوصه الكثيرة خاليا من اقتباس أو تناص قرآني، حتى إن المهدي نفسه صرح بذلك في مطلع قصيدة (مغامرة) حيث قال:

لا أَسْتَطِيْعُ..

أُحبُّ النَّهرَ والشَّجَرَةْ

وغُرفةً من حنانِ العُشبَةِ العَطِرَةْ

وبابَ آيٍ حكيمٍ

كان يدخُلُنِيْ

من سورة الناس حتَّى سُورةِ البَقَرَةْ [5]

وهنا يجمل القرآن كله؛ ليؤكد أن القرآن مصدر إلهامه، ومعجمه التعبيري.

المبحث الرابع: مستوى التوظيف غير المباشر:

في هذا المستوى، مستوى المفردة الدينية غير المباشرة، يمكن الاعتماد على التأويل المفارق الذي " يُعنى بالكشف عن الدلالة التي يقصدها النص، أي التركيز على المعنى الذي يتضمنه النص بعيدا عن سياق مؤلفه" [6] ، ومن خلاله تتجلى مهارة الشاعر في اختراع صناعة سياق ثابت لمعجمه الشعري، تكتسب فيه بعض المفردات اللادينية دلالةً دينية.

المطلب الأول: مستوى توظيف الكلمة:

ليس الدين حكرا على طبقة دون أخرى، فإذا كانت بعض الطبقات أو جلها أساءت استخدام الدين للوصول إلى

1- ديوان شمعة في العدم، 119، 120.
2- ص / 22.
3- البقرة / 54.
4- البقرة / 249.
5- ديوان شمعة في العدم، 148.
6- استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، ص 57.

مآربها، فليس بدعا على الشاعر أن يستعمل الدين ليصور الرؤيا التي تتفق وحالته الشعورية، هذا تأويل ليس ببعيد، خاصة وأن الْمَهَدّي استطاع بمهارته أن يصبغ بعض الألفاظ اللادينية بصبغة الدين؛ ليتم تصنيفها ضمن المفردات الدينية غير المباشرة، فهو يبتعد من خلالها عن المباشرة؛ ليرمز لما يريده من رسائل ومعان، برمز ديني مناسب.

أولا: مفردة: (يومئذ) [1]:

يسِمُ الشاعر محمد الْمَهَدّي إحدى قصائده باسم: (يومئذ)، وهي في حد ذاتها ليست كلمة دينية، وليس في معناها المعجمي ما يدل على الدين؛ فهي ببساطة كلمة مركبة من ظرْفين (يوم + إذْ)، وأما التنوين، فهو تنوين عوض عن جملة محذوفة، يكون تقديرها حسب السياق.

ومن ثم فهي لا تدخل في المفردات الدينية؛ لأن استعمالها لا يكون خاصا بالدين، بل تستعمل للدلالة على أزمنة عديدة يشي بها السياق.

لكنْ استقراء سياق المعجم الشعري للشاعر محمد الْمَهَدّي، الذي تطغى عليه المفردة الدينية، مع السياقات التي جاءت بها مفردة: (يومئذ)، يجعلها مفردة دينية، وإليك التفصيل:

من المفردات الدينية المتكررة كثيرا في شعر الْمَهَدّي، مفردة (القيامة) ومرادفاتها، على النحو الآتي: (القيامة، يوم القيامة، المحشر، يوم الدين، الدارين، الآخرة، الحطمة، لغة الآخرة، تفعيلة الآخرة)، وهنا تكمن العلاقة بين مفردة: (يومئذ)، والقيامة ومفرداتها؛ لأنها وردت في القرآن الكريم في واحد وسبعين موضعا، منها ثلاثة وستون موضعا بمعنى يوم القيامة، والسبعة المواضع الباقيات لم تخل من الوعيد والتهديد، وسيأتي تفصيل ذلك.

وبالنظر بعين الاعتبار للسياقات التي وردت فيها كلمة (يومئذ)، يتضح أنها سياقات وعيد وتهديد، حيث

1- إنما عُدّت مفردة؛ لأن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة.

تكررت في قصيدة واحدة ثلاثين مرة، وكان عنوان القصيدة: (يومئذ)، ومطلعها قوله:

يَوْمَئِذٍ، وَالرَّغِيفُ بَعِيدٌ عَنِ الأَرْضِ

وَالجُوعُ وَالخَوْفُ فِي عُقْرِ دَارِكْ (1)

وبهذا السياق يحيلنا الشاعر إلى النصوص القرآنية التي تتضح محاكاته لها من خلال هذه القصيدة، التي تكررت فيها كلمة يومئذ في مطلع كل بيت منها، الأمر الذي استدعى البحث عن الكلمة في سياق القرآن الكريم، فكانت النتيجة كالآتي:

وردت (يومئذ) في القرآن إحدى وسبعين مرة، منها ست وستون مرة بلفظ (يومئذ) (2)، وجاءت بلفظ (فيومئذ) في أربعة مواضع (3)، وبلفظ (ويومئذ) في موضع واحد (4).

وأما دلالة (يومئذ) في السياق القرآني، فقد أريد بها يوم القيامة في ثلاثة وستين موضعا، أكثرها تكرارا قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾ (5)، وفي ثلاثة مواضع فقط لم يُرَدْ بها يومُ القيامة، إلا أنها لم تخل من الدلالة على الوعيد أو التحذير حتى في المواضع الثلاث.

ففي سورة آل عمران جاءت في سياق وعيد من تخلفوا عن القتال في سبيل الله، في قوله تعالى: ﴿ **هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ** ﴾ (6)، وفي سورة الأنفال جاءت في سياق التحذير من التولي يوم الزحف في قوله تعالى: ﴿ ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا**

1- ديوان شمعة في العدم، ص 48.
2- مواضع يومئذ في القرآن في سور: آل عمران 167، النساء 42، الأنعام 16، الأعراف 8، الأنفال 16، هود 66، إبراهيم 49، النحل 87، الكهف في موضعين 99، 100، طه في ثلاثة مواضع 102، 108، 109، الحج 56، المؤمنون 101، النور 25، الفرقان في ثلاثة مواضع 22، 24، 26، النمل 89، القصص 66، الروم في موضعين 14، 43، الصافات 33، غافر 9، الشورى 47، الزخرف 67، الجاثية 27، الطور 11، الحاقة في ثلاثة مواضع 16، 17، 18، المعارج 11، المدثر 9، القيامة في ستة مواضع 10، 12، 13، 22، 24، 30، المرسلات في عشرة مواضع 15، 19، 24، 28، 34، 37، 40، 45، 47، 49. النازعات 8، عبس في ثلاثة مواضع 37، 38، 40، الانفطار 19، المطففين في موضعين 10، 15، الغاشية في موضعين 2، 8، الفجر في موضعين في آية واحدة 23، الزلزلة في موضعين 4، 6، التكاثر 8.
3- مواضع (فيومئذ) في القرآن في سور: الروم 57، الرحمن 39، الحاقة 15، الفجر 25.
4- الروم / 4.
5- المرسلات / 15، 19، 24، 28، 34، 37، 40، 45، 47، 49، والمطففين: 10.
6- آل عمران / 167.

﴿ إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ [1]، وفي سورة الكهف جاءت في سياق تصوير عذاب قوم ياجوج وماجوج، في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [2].

وأما دلالة: (فيومئذ)، فقد أريد بها يوم القيامة في المواضع الأربعة التي وردت فيها، أما لفظ (ويومئذ) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ [3] وإن كان ظاهرها البشرى للمؤمنين بنصر الله، فإن فيها وعيدا للكافرين بالهزيمة.

وبهذا تكون دلالة الوعيد والتحذير هي الدلالة الرئيسة، ومن ثم فإن اختيار الشاعر الْمَهَدّي لها – وهو الذي لا ينفك عن توظيف المفردة القرآنية – لأجل الوعيد والتحذير، حيث إنه استعملها للوعيد والزجر والتهديد، بعيدا عن معناها المعجمي كونها ظرفية صارت فيها إذ اسما للزمن المستقبل، بل لينبه إلى أمر عظيم ويحذر منه.

فكيف يُؤَوَّلُ سياق معجمه الشعري لفظ يومئذ؟ منذ البداية، وتحديدا في الإهداء يقول:

يَومَئِذٍ

وَحدِي كهَذا الْعَدَدْ

بِشَمْعَةٍ أقْطَعُ رأْسَ الدُّجَى

أرْكُضُ فِي الأسْرارِ

أُلْقِي بجُثمانِ اللّيالِي خلْفَ ظَهْرِ الأَبَدْ

يوْمَئِذٍ

وَحْدِي كيَوْمِ الأَحَدْ

ثم تترى القصائد، إلى أن تأتي القصيدة السابعة بعنوان (يومئذ)، وتتكرر فيها لفظة يومئذ في بداية كل مقطع؛ ليبلغ عددها ثلاثين مرة، وفي المطلع يقول:

يَوْمَئِذٍ، وَالرَّغِيفُ بَعِيدٌ عَنِ الأَرْضِ

وَالجُوعُ وَالخَوْفُ فِي عُقْرِ دَارِكْ [4]

1- الأنفال / 16.
2- الكهف / 99.
3- الروم: / 4، 5. قال ابن عاشور: " والجملة المضافة إلى إذ في قوله (ويومئذ) محذوفة، عوّض عنها التنوينُ، والتقدير: ويوم إذ يغلبون يفرح المؤمنون" التحرير والتنوير 21 / 47.
4- ديوان شمعة في العدم، ص 48.

صورة مهولة مفزعة يبدأ بها الشاعر قصيدته، حيث الجوع والخوف يتسللان إلى الديار، في الوقت الذي يبتعد فيه الرغيف عن الأرض، بسبب أمر عظيم يزيد من قتامة الصورة، وإيلام العيش، لدرجة أنه يجعل من الرصاص رسائل للحب، وذلك عندما تقوم قيامته وتشتعل أهواله؛ لتزيد مقاطع القصيدة قتامة، عندما يسترسل الشاعر في تصوير الوعيد والتحذير والعذاب في المقاطع التي تتلو المطلع فيقول:

يَوْمَئِذٍ

لا رسَائلَ للحُبّ غيْرُ الرَّصاصِ

الرَّصاصُ أقرَبُ للحُبِّ مِن جُلَّنَارِكْ ..

يَوْمَئِذٍ

يُقْتَلُ الوَرْدُ باسْمِ الحَدِيثِ الشَّريفِ

وتختلف الأغنيات مع الوتر الشاعري بكل اختصارك ..

يَوْمئِذٍ

لاَ تُؤدّي العصافيرُ دَوْرَ العَواطِفِ

كمْ هِيَ مذْعُورَةٌ مِنْ حِصارِكْ ...

يَوْمَئِذٍ

لاَ قُرًى لاَ مَدَائِنُ مُؤْمِنَةٌ بِمَسَارِكْ..

يَوْمَئِذٍ

تَتَخَلّى الْمسافاتُ عنْكَ

فَلا همْزَةٌ لوصُولِكَ، لاَ قِبْلةٌ لِقطارِكْ ..

يَوْمَئِذٍ

تَلِدُ المَهْرجَانَاتِ فَوْضَى

لأنَّكَ زَوَّجْتَ أُمَّ الكِتَابِ لِسَبْتِ شِعَارِكْ

وتؤول سياقات المعجم الشعري لمحمد الْمَهَدّي أن هذا الأمر العظيم هو الحرب وأهوالها، فالحرب شر لابد من وقوعه، وفيه تتغير كثير من المعادلات، وتنقلب الموازين، ويقع واقع جديد لم يألفه الإنسان، ولأهمية هذا الهول بدأ الشاعر قصيدته مباشرة دون مقدمات، للتنبيه على ما ستفاجئنا به الحرب، تماما مثلما يأتي خراب الحرب وأهوالها فجأة دون مقدمات، بدأت القصيدة أيضا بلا مقدمات.

يوم إذْ تقوم الحرب، وهي جملة محذوفة عوض عنها التنوين [1]، واستدعاها السياق؛ لأن الحرب لازمة في معجم الشاعر، حيث تكررت كثيرا بلفظها ومرادفاتها والإشارة إليها [2]، حتى إنه يقول في إحدى قصائده: (الْحَرْبُ سيّدةُ الْمَدَائِنِ) [3]

ولا عجب من ذلك، فالشاعر يعيش الحرب كل يوم في بلاده اليمن وفي كثير من بلاد العرب والمسلمين، يرى ويلاتها ويعيش مآسيها.

يوم إذ تقوم الحرب يقتل الورد باسم الحديث الشريف، بدل أن يكون زاجرا ناهيا عن المساس بالورد.

يوم إذ تقوم الحرب تتزوج أم الكتاب السبت، بدل أن تكون منفصلة عنه في استباحة الدم والدمار.

ومن هنا يمكن التأويل بأن الحرب في المعجم الشعري لِلْمَهَدّي هي قيامة الدنيا؛ لما فيها من أهوال ونوازل؛ لذلك اختار الْمَهَدّي أن يعبر عنها بلفظ: (يومئذ)، في مهارة توظيفية جعلتها في سياقات القيامة والأهوال، ينذر بها الشاعر قومه، يتوعد، ويحذر الإنسانية جمعاء، وقومَه خاصة؛ لتناسب سياقها في القرآن الكريم.

ومن ثم فهي ترقى إلى أن تكون مفردة دينية، وإن لم تكن كذلك بالنسبة لمعناها المعجمي، إلا أنها في سياق معجم الْمَهَدّي تمثل تناصا مع (يومئذ) الواردة في السياق القرآني.

المطلب الثاني: مستوى توظيف التركيب:

إن غزارة المفردة الدينية أدت إلى نتيجة طبيعية، وهي حضور تراكيب دينية كثيرة، كانت لها دلالاتها وغاياتها، من هذه التراكيب ما اعتمد على الابتكار

1- قاله ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)، حيث قال: " والجملة المضافة إلى إذ في قوله (ويومئذ) محذوفة، عوّض عنها التنوينُ، والتقدير: ويوم إذ يغلبون يفرح المؤمنون" التحرير والتنوير 21 / 47.

2- تتردد الحرب كثيرا في شعر الْمَهَدّي بلفظها: (الحرب، الحروب، حارب)، وبمرادفاتها: (الصراع، الدمار، تؤسر)، وبالإشارة إليها مثل: (أخذت بثأرهم، ليهزموا).

3- ديوان شمعة في العدم، ص 33.

في توسيع الدلالة، حيث تكتسب الألفاظ من خلال تركيبها في سياق دلالات على غير عاداتها، بل ربما دلت على عكس معناها المعجمي المشهورة به، ويسميها بعض الباحثين بـ(الدلالة غير المحدودة التركيز)[1].

والمراد من التراكيب الدينية غير المباشرة تلك التراكيب التي اخترعها الْمَهَدّيُّ ولم يقتبسها من نصوص دينية، بل اكتفى بتركيب مفردة دينية في سياق ابتدعه، وهذا كثير في صناعة المهدي الشعرية، كثير جدا، ويمكن الاستشهاد بقصيدته: (حاصرتُ خوفي بالتّأمل)، التي منها قوله:

رَدّدْ مَعِي:

إنّ القَصيدَةَ حالَةٌ نَفْسِيّةٌ

لاَ شيْءَ أكثَر أوْ أقل مِنَ الصّدَى

فَاحْفَظْ مُحَمَّدَكَ الْمَهَدّي الذِي

ما كَانَ إلاّ – فِي الكتابِ – مُحَمّدَا

رَدّدْ مَعِي:

فِي كُلّ نافِذةٍ نَبِيٌّ جَائِعٌ

واللّيْلُ فِي السُّوقِ القَديمةِ جَالِسٌ

يبْتاعُ حَلوَى مِنْ أحَادِيثِي الصّحيحَة

والرّغيفُ على المَدينَةِ حَارِسُ

رَدّدْ مَعِي:

كُنْتُ المُشاكِسَ...

لمْ أكُنْ مِنْ أوْليَاءِ اللهِ..

أدْرَكْتُ الصّلاةَ عَلَى النّبِيّ

وَرِثْتُ عَنْ أمّي البُكاءَ وَسبْحَةً

والزُّهْدَ والرُّوحَ العَظيمَةَ عنْ أبِي

والآنَ... حَسْبُكَ..[2]

في هذه المقاطع من القصيدة تستوقفنا التراكيب الآتية: (فاحفظ محمدك الْمَهَدّي، في الكتاب، ما كنت إلا محمدا، نبي جائع، أحاديثي الصحيحة، لم أكن من أولياء الله، أدركت الصلاة عن النبي، ورثت ... سبحة، والزهد... عن أبي).

1- ينظر: علم الدلالة، ص 79.

2- شمعة في العدم، ص 121، 122.

يخاطب الشاعر المتلقي بالقول ردد معي، ويوصي بأن يحفظ محمده الْمَهَدّي، الذي سيكون معجزة في الكتاب (كتاب الشعراء، معجم الشعراء، كتاب تاريخ الشعراء)، فلن يكون كأي أحد من شعرائكم، بل لن يكون (إلا محمدا) المعجزة في الشعراء.

ثم يعيد الخطاب: (ردد معي)

في كل نافذة نبي جائع، النبي هنا الشاعر، والنافذة تحتمل تآويل عديدة، نافذة الليل، نافذة الرؤيا، والأقرب أنها نافذة الليل؛ لأن الليل واقف عندها يبتاع الحلوى (المعنى)، من أحاديث الْمَهَدّي الصحيحة (نبوءاته الشعرية) التي يسوقها في قصائده الْمُعجِزَة.

ثم يعيد الخطاب: (ردد معي)

ليصف نفسه بالمشاكس الذي لم يكن من أولياء الله، وهذا ليس بغريب، فالشعراء مشاكسون، لكن الْمَهَدّي أدرك الصلاة: (الثناء)، على النبي (النبي الجائع، الشاعر، محمد الْمَهَدّي نفسه)، وهنا ترى باب التأويل مفتوحا على معان شتى.

هذا الشاعر البكّاء الزاهد العابد في صومعة الشعر، ما زال يتسم بروحه العظيمة التي ورثها عن أبيه، وعاطفته الرقيقة التي ورثها عن أمه، وفي وقفة مفاجأة يتجه للمخاطب بقوله:

والآن حسبك، يكفيك ما رددته معي.

بهذه التراكيب الدينية يعبر الشاعر عن غربته الشعرية، عن معجزته، ورسالته التي يحملها، عن فقره وجوعه إلى الأمن والطمأنينة والسلام، عن افتقاره للإنصاف، في النهاية عن غربته الفكرية، وأوجاعه في هذه الحياة.

والغربة الفكرية غرض اشتهر في الشعر العربي عبر العصور، لكن الشاعر الْمَهَدّي هنا يتناوله بتراكيب دينية، فالدين في شعره لازمة لا تفارقه، ولا تغادر نصا من نصوصه.

هكذا كان يسوق الْمَهَدّي المفردة الدينية في شعره على أربعة مستويات، فأما المستوى الأول فهو: مستوى إثبات المفردة

الدينية غير المباشرة، وأما المستوى الثاني فهو: مستوى المفردة الدينية المباشرة، وأما المستوى الثالث فهو: مستوى التراكيب الدينية غير المباشرة، وأما المستوى الرابع فهو: مستوى التراكيب الدينية المباشرة.

فالْمَهَدّي يعبر بالمفردة الواحدة أحيانا، وببعض التراكيب في مواضع أخرى، يتجه للتصريح أحيانا، ويلجأ خلف التلميح أحيانا أخرى.

الخاتمة:

إن ديوان (شمعة في العدم) يزخر بهذه التراكيب التي منها على سبيل المثال لا الحصر: (ساعة التوحيد، حي على الحرب، المنابر تكذب حتى على الله، تبايعني المدائن، سُجرت رئتاي، وجه المشيئة، صاحب الكهف، له أسماؤه، علم أسماءه، شيخ المجوس، أنا خليفة الله، ضيّعَ الله، ليلة الشياطين، المنابر تكذب، رجل من ثمود، رجل من مدائن صالح، رجل من كلام السماء، رجل من قريش، حديث السقيفة، رجل من تراب، الإرادة تأخذه خطوتين إلى ربه، كان قلبي حمامة في ضلوع الغار، ظمئنا إلى الشعر فاغفر لنا واهدنا، كيف نمشي على الماء، كان الكلام خفيا حفيا، الشيطان يكشف عورة التاريخ، السلام شهيد، عابد غافل، كفرا لئيما، اليقين الأكفر، ذئب اليقين، أحاديثي الصحيحة، بوذا العظيم، شجار الديانات، فرد الجلالة، تفعيلة الآخرة، أثر المنتهى، منتهى المنتهى، دمعتين مهاجرتين، يمشي الله، الله يجلد، لغة الآخرة، ضلوع الغار، كان قلبي عنكبوتا، شاعر صحف، صلاة الجماعة كافرة، آمنت بالله القرية الكافرة، نبي جائع، في البدء كنتُ، كان أبي يعوي في تلة الرؤيا، أمشي على أربع).

هذه التراكيب جاءت في سياقات جعلتها متعددة التأويلات، يوظفها الشاعر لأغراض شتى، فهو يوظف المفردة الدينية لدعم فكرته حينا، ويوظفها لإثراء أسلوبه حينا آخر، في شتى المضامين والموضوعات التي يطرقها، سواء أكانت سياسية، أم وطنية ، أو اجتماعية، أم شخصية ذاتية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم: المصحف العثماني. رواية حفص

1- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط1، 1998م.

2- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط1، 1984م.

3- تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، بروين حبيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م.

4- حداثة التواصل الرؤية الشعرية عند نزار قباني دراسة في الإيقاع واللغة الشعرية، عبد الغني حسني، دار الكتب العلمية، بيروت.

5- الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996م.

6- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، د ت.

7- استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، محمد بو عزة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م.

8- شعر إبراهيم ناجي، دراسة أسلوبية بنائية، شريف سعد الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2008م.

9- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

10- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة، بيروت، ط1، 2009م.

11- الاقتباس والتناص والقرآنية، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد الأول، مايو 2021م.

12- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ.

13- معجم تهذيب اللغة، أبو

منصور الأزهري، تح: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2001م.

14- مخطوط الشاعر.

15- المفصل في علم اللغة، جار الله الزمخشري، دار الجيل بيروت، ط2، 1981م.

16- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ط3، د ت.